

حروف حرة

العدد 36، خريف 2024

مجلة فصلية تصدر عن جمعية تونس الفتاة



ملف العدد:
تحديات العالم المعاصر

ملف العدد: تحديات العالم المعاصر

ص. 3

الفلسفة ووعود اختراع المستقبل

مريم مقعدي

ص. 4-5

هل أعلن 7 أكتوبر عن بداية تشكل نظام دولي جديد؟

فهمي رمضاني

ص. 6-9

المحكمة الجنائية الدولية وجرائم الاحتلال الصهيوني: صحوّة الضمير المرتقبة

خليل القادري

ص. 10-11

كيف يعمّق الذكاء الاصطناعي الهوة بين الروائع الأدبية والكتابات الرخيصة؟

ترجمة: حمزة عمر

ص. 12-13

فيلم "الحرب الاهلية 2024": من سنقاتل ؟

محمد أمين ضيفي

ص. 14-17

النشاط الإرهابي للعصابات الصهيونية في فلسطين قبل 1948 (الجزء الأول)

فهمي رمضاني

تقارن
في هذا العدد



التصميم

حمزة عمر

صورة الغلاف

Canva

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

رئيس التحرير

حمزة عمر

فريق التحرير

فهمي رمضاني

مريم مقعدي

حروف حرّة

مجلة فصلية تصدر عن

جمعية تونس الفتاة

تأسست في مارس 2021

الفلسفة ووعود اختراع المستقبل



بقلم: مريم مقعدي

طالبة ماجستير في اختصاص الفلسفة

الكاتبة العامة لجمعية تونس الفتاة

mogadimariem@gmail.com



Perchance.org

هل ثمة علاقة ضرورية تجمع بين الفلسفة والمستقبل؟

هل تعدنا الفلسفة بمستقبل ما في عصر التقنية؟ أم أنها "انسحبت" منذ سيطرة التقنية، فأصبحت مجرد "طمأنة للأطفال" مثلما عبّر عن ذلك دريدا بطرافة؟

بمعنى آخر، هل بإمكان الفلسفة أن تنقذنا اليوم؟ وممّ ستقذنا؟ هل بإمكانها أن تنقذنا من سياسات الحرب والتجويع والسمسرة بالإنسان؟

هل بإمكانها أن تنقذنا من ثقافة الاستسلام والإحباط التي باتت تخترق الإنسان الحديث من كل جانب؟ أم أنها يمكن أن تخلصنا بكل ذلك، أي أنها يمكن أن تخلصنا من كل المشاعر الارتكاسية على المستوى النظري، وأن تهدينا آليات لاخترع مستقبل ممكن على المستوى العملي .

يبدو أن الفلسفة اليوم، أي في عصر التقنية التي مارست عنفها على الطبيعة حد الاستنزاف، بات عليها أن تفارق أسئلتها الميتافيزيقية التي سطرت كامل تاريخ الفلسفة القديمة، وحتى الوسيطة منها، وأن تنخرط في المقابل في التحديات الجديدة التي طرحها علينا الحياة الحديثة. لعل أهم تلك التحديات تتمثل في المشاكل الأيكولوجية في علاقتها بالتقنية من جهة، وفي علاقتها بمسؤولية الإنسان تجاه الطبيعة من جهة ثانية.

إن كتاب "مبدأ المسؤولية" للفيلسوف الألماني هانس جونس، يمثل تعبيراً جيداً عن هذا الرهان الجديد الذي ستطرح به الفلسفة، ألا وهو السؤال عن "المستقبل". ذلك أن هذا الأخير، لا يعد بشارة كرونولوجية سعيدة، وإنما هو "عصر جديد" بامتياز، كنس لكل العوالم الميتافيزيقية القديمة، واستبدالها بأسئلة وعوالم جديدة، أو حديثة بمعنى ما. وعندئذ علينا أن نسأل بكل براءة: هل يمكن أن نواصل اليوم -أي في عصر التقنية- اتهام الفلسفة بالكفر وبالتجديف على الدين؟ وبالتالي، أن نعامل الفيلسوف على أنه ذاك "الغريب"

المجالات. هل هذا يعني أن بإمكاننا -نحن الشعوب العربية- أن نؤسس لفلسفة ممكنة في لغتنا وفي انتمائنا، فلسفة نستعيد من خلالها قدرتنا على "التوحش" وعلى "الانجاز"، أي قدرتنا على أن نبني عالماً خلاقاً، قابلاً للعيش -و ليس فقط لمجرد الحياة- ضمن سؤال جديد رسمته لنا الحداثة، ألا وهو سؤال التقدم التقني. ربما هذا هو الرهان الحقيقي!

ذلك أن الفلاسفة منذ ديكارت، وإن عبروا بحماس عن فكرة "الكوي"، فإنّ نصوصهم الفلسفية ومحاوراتهم لا تخلو من استعارات مسكونة بانتماءاتهم الجغرافية. نيتشه نفسه، الذي قلب بشكل ما الإحداثيات والمعايير الحديثة، لا يتوانى أبداً في عديد المواضع بتذكيرنا بأنه "مواطن أوروبي جيد".

يبدو أنه علينا اليوم أن نعيد "تنشيط" قدرة الفلسفة في الانخراط في أسئلة المستقبل، باعتباره الأفق الوحيد الممكن للتواجد. ولكن السؤال الذي يستفزنا هنا بقوة هو التالي: هل ثمة مستقبل ممكن، في عصر يباد فيه الإنسان كما تباد آلاف الحشرات في الطبيعة؟ هل ثمة أفق ينتظرنا في عالم تخترقه سياسات التوحش من كل جانب؟

من هنا علينا أن نراهن اليوم من جديد على قدرة الفلسفة على اختراق كل سياسات النفي والإقصاء والتجويع، من أجل التأسيس لرؤية مستقبلية جديدة، تؤمن بتعدد الكونيات الثقافية، ولا تقوم بالضرورة على عداوة أي أحد باعتبار أن "العداوة هي العدو اللدود للفلسفة ولل فكر معاً".

إن الأزمة المزدوجة التي يعيشها عالمنا الحالي: في مجال التطور العلمي والتقني من جهة، وجراء الحرب اليومية التي تشن ضد أهالي غزة وفلسطين من جهة ثانية، فرضت على الفلسفة أن تعيد مراجعة انشغالاتها القديمة، كوعدها لاخترع مستقبل ممكن، وكمغامرة تحثنا من جديد على "الدهشة"، التي لا احد بإمكانه أن يجد جواباً نهائياً لها.

الذي يهتم بمشاكل ميتافيزيقية لا تنتمي إلى عالمه الحديث؟

في كتابه الذي يحمل عنوان "فلسفة الأشياء الصغيرة"، يجيبنا فتحي المسكيني أنّ "عصر التقنية قد أعاد إلى الفلسفة براءتها"، ذلك أنه لم يعد الفلاسفة معنيين بأسئلة "الأصل" و"العلّة الأولى" و"ماهية الوجود"...الخ، بقدر ما صاروا مدعويين إلى تهئية نوع جديد من الكينونة في العالم يتصالح مع الكون ولا يتهمه بأي شكل من الإشكال."

لقد بات على الفلسفة إذن أن تجدد أسئلتها وتغادر سكونها الميتافيزيقي، أين يكون السؤال على المستقبل ممكناً: مستقبل الحياة على سطح الأرض، في ظل التغيرات المناخية التي يشهدها عالمنا الحالي، في علاقة باستعمال الإنسان المفرط والأخلاقي "للتقنية". فهل يمكن للفلسفة أن تسأل التكنولوجيا أخلاقياً، في عصر أصبحت فيه الآلة هي شكل الحياة الوحيد الممكن على سطح الأرض؟

يبدو أن استبصار أسئلة جديدة للفلسفة اليوم في علاقتها بالتقنية يعدّ أمراً ملحاً، لا من جهة كون هذا السؤال يعد ترفاً نظرياً راهناً، وإنما من جهة ما يحمله من إمكانيات لاخترع مستقبل ممكن خاصة للشعوب العربية، التي مازالت لليوم تعاني من كل أشكال التبعية العلمية والتقنية في أغلب

علينا أن نراهن

اليوم من جديد

على قدرة

الفلسفة على

اختراق كل

سياسات النفي

والإقصاء والتجويع

«

هل أعلن 7 أكتوبر عن بداية تشكل نظام دولي جديد؟



بقلم: فهمي رمزاني

أستاذ مبرز في التاريخ

نائب رئيس جمعية تونس الفتاة

fahmi@tounesaf.org

ويشير المفكر يورغ سورنسن في كتابه "إعادة النظر في النظام الدولي الجديد" إلى كوننا نعيش مرحلة الدولة الهشة سواء في العالم المتقدم أو النامي وذلك بسبب نهاية صلاحية السرديات التي تأسس عليها الفكر الليبرالي الغربي، حيث لم تعد الإنسانية تثق في المنجز الحداثي على الشاكلة الغربية. إلى جانب ذلك، تعاظم في السنوات الأخيرة دور القوى الصاعدة التي تطالب بنظام دولي عادل ومتعدد الأقطاب وهي بالأساس روسيا والصين، حيث تسعى هاتان الدولتان مع قوى إقليمية أخرى كتركيا وإيران وجنوب إفريقيا إلى تعطيل النظام الدولي الحالي الذي يسيطر عليه الغرب وتقويضه. ويظهر ذلك من خلال غزو روسيا لأكرانيا منذ فيفري 2022 وبداية تصرف الصين كقوة عالمية، حيث تسعى إلى السيطرة في محيطها الإقليمي ثم الدولي ومن هنا يتنزل تحركها ضد تايوان ومحاولتها تركيز نفوذها في المحيطات والبحار المجاورة لها، فكثر بذلك النقاش حول إن كنا نعيش عصر الإمبراطورية الأمريكية مقابل القوى الإقليمية الصاعدة أو أننا في مرحلة مخاض فلا نحن في زمن الإمبراطورية الأمريكية ولا عالم القوى الإقليمية، وهو ما حدا بالمفكر يورغ سورنسن إلى القول بأننا مقبلون على عالم تتبعثر فيه القوة بأكثر مما سبق.

وقد أدى كل ذلك إلى ولادة عالم متوزع على اتجاهات متناقضة، فهناك غرب يريد لقيمه الليبرالية أن تنتشر وتتقدم أكثر، لكنها تشهد تراجعاً داخله، في مقابل ذلك هناك روسيا والصين اللتان تبحثان عن قيم تقليدية قومية تواجه بها الغرب. ويمكن اعتبار هاتين القوتين بمثابة قاطرة عالم متحول تعتمز إصلاح النظام الدولي على نحو جذري وترفض النظام الغربي بكل ما يحمله من عيوب ونفاق كازدواجية المعايير والكيل بمكيالين. في كل هذه السياقات المتحولة والمتوترة، جاءت حرب السابع من أكتوبر أو حرب غزة لتعلن ربما عن بداية تشكل نظام دولي جديد وأقول النظام الأمريكي.

ففي البداية، يمكن القول بأن فلسطين تشكل مرآة تعكس موازين القوى في العالم، فإضافة إلى أهمية موقعها الاستراتيجي، إذ التقى الشرق والغرب أكثر من مرة في هذه المنطقة، فهي كذلك آخر

ولكن شهدت السنوات الأخيرة، تحولات كبرى وأحداث مهمة إقليمياً ودولياً تعامل معها البعض على كونها بداية مؤشرات ولادة نظام دولي جديد. ومن أهم الأحداث التي بشرت بهذا المخاض، نذكر حرب روسيا على أوكرانيا وتحولات الاقتصاد العالمي وتفوق مجموعة البريكس التي تضم البرازيل وروسيا والهند وجنوب أفريقيا والصين اقتصادياً على مجموعة الدول الصناعية السبع في سنة 2020 وقد أصبح هذا التكتل قوة سياسية ودبلوماسية فاعلة في المجتمع الدولي. وفي سياق الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، مثلت أحداث السابع من أكتوبر من سنة 2023 نقطة تحول مهمة، حيث أثارت نقاشات عديدة حول العلاقات الدولية وتوازن القوى والنظام الدولي، ومع أنها لم تعلن رسمياً عن بداية تشكل نظام دولي جديد، فإن الساحة العالمية شهدت ردود فعل وتأثيرات مختلفة متعلقة بالصراع، قد تسهم في إعادة تشكيل ديناميكيات جديدة في السياسة الدولية.

أعلن تفكك الاتحاد السوفياتي سنة 1991 عن ولادة نظام القطبية الأحادية الذي تزعمته الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين، وقد شهد هذا النظام تأزماً غير مسبوق في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، تجلى ذلك بوضوح من خلال الأزمة التي تمر بها الديمقراطيات الليبرالية، فإلى جانب موجة الشك التي طالت قيم الديمقراطية الليبرالية الغربية كالإيمان بالحرية والتقدم، سيطرت التوجهات الشعبوية على المشهد السياسي الغربي في السنوات الأخيرة. وقد وجهت هذه التيارات نقداً لاذعاً للأسس التي قام عليها النظام الدولي الجديد كالعولمة والانفتاح والتنوع، الأمر الذي أدى إلى ضرب أعظم إنجاز للسياسة والاقتصاد في الغرب وهو بناء مجتمعات حرة تؤمن بالعقيدة الليبرالية الغربية وتصطف وراءها، فوجد بذلك الغرب نفسه في السنوات الأخيرة بصدد الدفاع عن مشروعه الليبرالي حتى داخل مجتمعاته نفسها.

تحدد ملامح النظام الدولي من خلال معرفة شكل العلاقات بين الدول وفهم الأطراف الأكثر قوة والأكثر نفوذاً مقارنة بغيرها، وهو ما يساعد على تشخيص نمط التفاعل بين الفاعلين الدوليين في مختلف المجالات. وتتدخل هنا الأحداث الكبرى والتحولات التاريخية الجذرية في إعادة تشكيل النظام الدولي ورسم ملامحه، فقد حسمت مثلاً الحروب البونية صراعاً دولياً بين قوة سائدة وقوة صاعدة، فأسهمت بذلك في تشكل نظاماً دولياً أحادي القطبية تزعمته الإمبراطورية الرومانية. أعلنت كذلك الثورة الفرنسية في 1789 عن تشكل نظاماً دولياً جديداً أسهمت الحروب النابليونية بجزء كبير في صياغته، لكنه لم يدم طويلاً، إذ انتهى في 1815 مع مؤتمر فيانا الذي أعاد صياغة ملامح العلاقات الدولية وكرس سيطرة أوروبا الغربية إلى حدود اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث سبّرت قوى دولية جديدة ومشهد جغرافي سياسي قطع مع إرث القرن التاسع عشر وأدخل العالم بقوة إلى روح القرن العشرين.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية سيتشكل من جديد نظام دولي ثنائي القطبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي في إطار ما عرف بالحرب الباردة. وقد مثل سقوط جدار برلين في 1989 وتفكك الاتحاد السوفياتي في 1991 إعلاناً عن صياغة جديدة للعلاقات الدولية، انتهى فيها التاريخ حسب البعض وانتصرت فيها الليبرالية الغربية الديمقراطية، وقد اتسم النظام الجديد الذي صاغته الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين بمجموعة قيم ليبرالية غربية فرضتها هذه الدول على الجنوب، كشرط للاتحاق بركب المجتمع الدولي. وفرضت الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الأثناء والتي قدمت نفسها على أنها المرشدة الأخلاقية للإنسانية أو شرطي العالم، قواعد اللعبة السياسية العالمية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

فلسطين تشكل

مرآة تعكس

موازين القوى في

العالم



حالة استعمار في العالم المعاصر اعتبرها البعض بمثابة ذلك الخيط الأخير الذي يربط دول الجنوب العالمي بماضيها. وفيها كذلك، تتجسد بصورة واضحة ازدواجية المعايير الغربية، من خلال تبرة إسرائيل من كل ما ارتكبته منذ بدأ استيطانها وترتكبه من جرائم مروعة بحجة حقها المزعوم والمطلق في الدفاع عن نفسها.

وهذا الحق هو بالنسبة للغرب أهم من الحفاظ على أرواح الفلسطينيين وأهم من القوانين الدولية. لذلك كشفت حرب غزة عن مأزق النظام الدولي الحالي الذي يعيش نوعا من الفراغ والفوضى التي تولدت من ازدواجية المعايير التي تأسس عليها هذا النظام. وبذلك فقد الغرب اغراءه حسب تعبير أحد المفكرين ولم يعد حديقة القيم والأنوار والتقدم، بل إن الكيان الصهيوني الذي روج له الغرب باعتباره واحة للديمقراطية وسط أنظمة شرقية متخلفة، لم يعد كذلك وبالتالي فإن هذه الرجة التي تعرض لها النظام الدولي الحالي بعد حرب غزة قد تكون إيذانا ببداية تشكل قوانين دولية جديدة متحررة من الاستعمار وتنصف أكثر بلدان الجنوب.

كشفت حرب غزة كذلك عن الفشل الأمريكي الذريع في إدارة النظام الدولي، إذ لم تنجح الإدارة الأمريكية في كبح جماح حليفها الاستراتيجي أو التأثير عليه للتوصل إلى حل عادل ودائم، وقد أظهرت الاستراتيجية التي تعتمد عليها الولايات المتحدة الأمريكية عجزها عن فهم التغيرات الحاصلة في العلاقات الدولية منذ عشرين سنة، فقد واصل بايدن اعتماده سياسة ازدواجية المعايير من خلال تمسكه بالموقف الأمريكي التقليدي في الدعم المطلق لحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها. وتبرز هذه الازدواجية والتناقض الصارخ من خلال إدانة جرائم الحرب التي يرتكها الجيش الروسي في أوكرانيا والتغاضي عن فظائع الجيش الصهيوني في فلسطين، فقد اكتفت الإدارة الأمريكية بالإعراق عن قلقها من الممارسات الصهيونية كلما ارتكب الجيش الإسرائيلي مجزرة في حق الشعب الفلسطيني. كما تواصل الإدارة الأمريكية سياستها الممنهجة في منع الأطراف الدولية من الاستحواذ على ملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

إلى جانب ذلك، أعلن السابع من أكتوبر

يسهم في جعل قوة بديلة عن الولايات المتحدة الأمريكية في ملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

أكد طوفان السابع من أكتوبر على بداية تداخل أسس النظام الدولي الحالي، إذ جاءت هذه الحرب في سياق عالمي تتحول فيه الموازين من الجبهة الأطلسية نحو الشرق الأوراسي، وتتزايد فيه المعارضة للغرب من قبل قوى إقليمية تقترح قيما جديدة لتسيير العلاقات الدولية. وتتخذ كل هذه القوى من الشرق الأوسط نقطة انطلاق لخوض غمار الصراع على النفوذ وبسط الهيمنة.

أهم المراجع

- يورغ سورنسن، إعادة النظر في النظام الدولي الجديد، ترجمة أسامة الغزولي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، جانفي 2020.
- جوان دياس، حرب غزة وتداعياتها على موازين القوى في النظام الدولي، أوراق سياسات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

عن بروز قوى دولية جديدة أصبحت فاعلة أكثر على الساحة الدولية وأهمها الصين التي شرعت منذ سنوات في اكتساب مكانة مهمة في الشرق الأوسط خاصة بعد تطويرها مشروع طريق الحرير الجديد والتغلغل أكثر في المنطقة عبر الشراكات الاستراتيجية. وقد اهتمت الصين بمنطقة الشرق الأوسط وحاولت أن تدلو بدلوها في القضية الفلسطينية مستغلة سوء سمعة الولايات المتحدة في المنطقة خاصة بعد تورطها في حرب غزة مع حليفها الإسرائيلي. وقد أثبتت كذلك الصين بأنها يمكن أن تكون وسيطا دبلوماسيا شائها شأن الولايات المتحدة الأمريكية فقد صالحت بين إيران والسعودية سنة 2023 وجمعت بين الفصائل الفلسطينية المختلفة في بكن وبذلك فإنه بإمكانها أن تلعب دورا دبلوماسيا يضاهي الدور الأمريكي لكنها لا تزال حتى اليوم تتعامل بحذر مع ملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ولم تطرح بعد أي مبادرة جدية تهدف إلى تحقيق السلام في المنطقة وعموما فإن أحداث السابع من أكتوبر تجري في مصلحتها.

أما بخصوص روسيا فهي تعد أيضا من أهم المستفيدين من طوفان الأقصى، فقد أشبحت كل الأنظار والإمدادات العسكرية عن أوكرانيا لتتركز على غزة وإسرائيل وهو ما فسح المجال لروسيا للتصرف بحرية أكثر والارتقاء في أحضان الصين ومحاولة تكوين تحالف روسي صيني ضد الولايات المتحدة الأمريكية كما حاولت روسيا تقديم خطاب داعم لفلسطين نسبيا ومعارض للغرب وذلك لكسب الرأي العام العربي والإسلامي ودول الجنوب العالمي الأمر الذي قد

أكد طوفان

السابع من أكتوبر

على بداية تداخل

أسس النظام

الدولي الحالي، إذ

جاءت هذه

الحرب في سياق

عالمي تتحول فيه

الموازين من

الجبهة الأطلسية

نحو الشرق

الأوراسي

المحكمة الجنائية الدولية وجرائم الاحتلال الصهيوني: صحوه الضمير المرتقبة



بقلم: خليل القادري

ناشط سياسي وطالب دكتوراه

في اختصاص القانون الخاص

khalilkadri1990@gmail.com

فرصة لمحاسبة قاداته وعدم افلاتهم من العقاب، فكان ذلك فتحا لصفحة جديدة في العدالة الدولية، والتي دوما ما كانت تنتكر للحق الفلسطيني المشروع في تقرير مصيره، ودوما ما كانت تغض البصر- عن جرائم الاحتلال، خاصة مع خطوة دولة جنوب افريقيا بمعية دول أخرى الدافعة المتمثلة في إثارة دعوى قضائية امام المحكمة الجنائية الدولية ضد الكيان وقبول المحكمة النظر في تلك الطلبات منسجمة مع ما تضبطه معاهدة روما، فشكلت تلك الخطوة صحوه ضمير مرتقبة يمكن أن تتحول الى إجراءات فعلية تتيح محاسبة الكيان جنائيا.

1- سوابق المحكمة الجنائية الدولية في التعاطي مع الجرائم الإسرائيلية

يقوم التقاضي في المادة الجنائية إما بناء على طلب من الدولة العضو المتضررة أو من خلال تعهد المحكمة من تلقاء نفسها فيما يخص اختصاصها أو من خلال دول أعضاء، وهو ما قامت به فلسطين في عدة مناسبات سابقا (أ) ثم تستجيب المحكمة لتلك الطلبات وفق ما يضبطه اختصاصها بالمعاهدة المتعلقة بنظامها الأساسي (ب).

أ - الطلبات الفلسطينية السابقة للمحكمة الجنائية الدولية فيما يتعلق بجرائم الاحتلال الصهيوني

لقد أثارت الدولة الفلسطينية أولى مطالبها أمام المحكمة الجنائية الدولية في ديسمبر 2009، حيث طلبت من المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية مباشرة التحقيق في الوضع القائم بعد نهاية حرب غزة 2008-2009 وبوصف قواعد القانون الجنائي الدولي تكفل مسائلة قادة الاحتلال الصهيوني [4]. ومنطلقة من مبادئ حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وبين ضرورة وجاهة نظر الدافع لمطالبة المحكمة الجنائية الدولية بالتحقيق في جرائم الاحتلال الصهيوني لتوفر أدلة دامغة. أقر المدعي العام المدعي للمحكمة إمكانية فتح تحقيق في جرائم قادة الاحتلال وان بإمكان المحكمة أن تتعهد من تلقاء نفسها، خاصة وأن مجلس حقوق الانسان التابع لمنظمة الأمم المتحدة أرسل لجنة تقصي حقائق بخصوص الوضع في قطاع غزة، حيث يمكن هذا التقرير المحكمة من مواجهة افلات قادة الاحتلال من العقاب. تزامن ذلك مع طلب دولة فلسطين العضوية الكاملة بهيئة الأمم المتحدة في 2011، ثم قبولها كدولة عضو في

والصين والهند مقابل امتناع 21 دولة. ودخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في 1 جويلية 2002 حيث أصبحت المحكمة مختصة بالنظر في الجرائم الدولية بذلك تكون المحكمة الجنائية الدولية اول منظمة ذات اختصاص قضائي جنائي دولي، بذلك أضحت المحكمة الجنائية الدولية مكتملة للاختصاصات القضائية الوطنية وفق ما تضبطه المادة الأولى من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية [3].

من بين القضايا المطروحة للنظر من طرف المحكمة الجنائية الدولية بصفتها مختصة بالنظر في الجرائم الدولية وفق ما يضبطه اختصاصها جرائم الاحتلال الصهيوني على الأراضي الفلسطينية ولقد تجددت الدعوة في مناسبات متعددة لمساءلته جزائيا.

إن ما يقره الكيان الصهيوني جرائم دولية بنص القانون الدولي ومنها جرائم العدوان والاحتلال والتهجير وحتى استهداف المدنيين والأطفال.

وقد أثار هذا الموضوع جدلا بين الفقهاء بين من يعتبر ان عدم انضمام الكيان الصهيوني لاتفاقية روما 1998 المتعلقة بالنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية يجسد عائقا أمام تتبعه وقيام مسؤولية جزائية ضده تمكن من تتبع قاداته، وهناك من اعتبر أن الممارسات الاجرامية للكيان الصهيوني يمكن متابعتها امام انظار المحكمة الجنائية الدولية والتي تنظر في الجرائم الدولية ضمن نطاق اختصاصها.

ان القيمة العملية للموضوع هو اثبات عدم فاعلية القانون الدولي الحالي وعدم كماله بسبب سياسة المعايير الدولية المزدوجة تجاه جرائم الكيان الصهيوني، لكن مع قبول المحكمة الجنائية الدولية للنظر في جرائم الاحتلال الصهيوني فانه يمكن ان يؤسس لعدالة جنائية دولية لا تساوي بين الضحايا والجلاد ولا تعلق عليها ارادات الدول النافذة.

مثل الرد الصهيوني على هجمات السابع من أكتوبر 2023 تعسفا في استخدام القوة قياسا بالحروب السابقة إلى حد ارتكاب جرائم حرب حسب القانون الدولي الجنائي، وهو ما مثل

لم تشكل محاكم خاصة للنظر في الجرائم الدولية الا بصفة استثنائية، من ذلك محكمتا نورنبرغ وطوكيو، ثم عرف القانون الجنائي الدولي ركودا الى حين تشكيل محاكم دولية جنائية خاصة كمحكمة رواندا 1994 ومحكمة يوغسلافيا 1994 وظهرت بالتالي: محاكم تيمور الشرقية، سيراليون، كمبوديا، محكمة لبنان الخاصة، ثم توجت بتأسيس المحكمة الجنائية الدولية المترامنة مع سعي المجتمع الدولي الى تقنين الجرائم الدولية سعيا لتكريس حقوق الانسان من تعسف القضاء الدولي لا سيما الانتقادات التي وجهت الى محكمتي نورنبرغ وطوكيو [1].

لقد اثير جدل حول وجود القانون الجنائي الدولي ووجود جرائم دولية، فهناك من اعتبر القانون الجنائي الدولي قانونا عرفيا قياسا على القانون الدولي العام وبصفته أصلا له، وبم فهم من ذهب الى اعتبار ان الجريمة الدولية غير موجودة في نصوص مكتوبة ويمكن الاهتداء اليها عن طريق استقراء ما تواتر عليه العرف الدولي [2].

لقد جاءت معاهدة روما 1998 المؤسسة للمحكمة الجنائية الدولية لتتوجها لجهود الأمم المتحدة في تقنين الجرائم الماسة بسلم وأمن البشرية وتتالي الاتفاقيات الدولية المعنية بحقوق الانسان وسعيا لتبلور مادة القانون الجنائي الدولي على غرار القانون الجنائي الوطني. فبعد محاولات لجنة القانون الدولي حول خلق محكمة جنائية دولية ولحاجة البشرية الى جهاز قضائي دولي دائم نظرا للجرائم الفظيعة التي ترتكب في أنحاء متفرقة من العالم بما يمكن من تجاوز عدالة المنتصرين وعدالة المكيالين، جاءت الاستجابة بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1996 احداث لجنة تحضيرية لبعث هذه المحكمة، فانتظم مؤتمر الأمم المتحدة الديبلوماسي للمفوضين في روما من 15 جويلية الى 17 جويلية 1998 لهذا الغرض فصوتت 120 دولة لصالح نظام روما المتعلق بالمحكمة الجنائية الدولية مقابل رفض سبع دول أهمها الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل

أثارت الدولة

الفلسطينية أولى

مطالبها أمام المحكمة

الجنائية والدولية في

ديسمبر 2009

تجددت المطالب

الفلسطينية في

2015 حيث

أودعت فلسطين

وثيقة انضمامها

للمحكمة الجنائية

الدولية لدى

الأمين العام للأمم

المتحدة، لتصبح

رسمياً طرفاً في

نظام روما

الأساسي

”



بقصد إهلاك جماعة قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية بصفحتها تلك إهلاكاً كلياً أو جزئياً؛ ونقلت معاهدة روما الخاصة بجرائم نفس التعريف المعتمد في اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في 9 ديسمبر 1948 حيث ضبطت المادة السادسة جرائم الإبادة الجماعية لتشمل الجرائم التالية : قتل أفراد الجماعة، إلحاق ضرر جسدي أو عقلي جسيم بأفراد الجماعة، إخضاع الجماعة عمداً لأحوال معيشية يقصد بها إهلاكها الفعلي كلياً أو جزئياً، نقل أطفال الجماعة عنوة إلى جماعة أخرى.

الجرائم ضد الإنسانية

سبق ان ضمنت هذه الجرائم بالمادة السادسة من ميثاق معاهدة نورنبرغ 1945 لمحاكمة مجرمي الحرب في دول المحور الأوروبية وتكرر بمحكمة طوكيو 1946 والمحاكم الجنائية الدولية الخاصة برواندا ويوغسلافيا بالإضافة الى تضمينهم جرائم أخرى مثل الاغتصاب والبهاء الجبري والتعذيب والسجن والإبعاد[8].

وقد ضمنت الجرائم ضد الإنسانية بالجرائم الدولية مرجع نظر المحكمة الجنائية الدولية التي ترتب مسؤولية جنائية دولية بالمادة السابعة من معاهدة

ارتكبت وأن تطلب إلى المدعي العام التحقيق في الحالة بغرض البت فيما إذا كان يتعين توجيه الاتهام لشخص معين أو أكثر بارتكاب تلك الجرائم".

ان ممارسات الكيان الصهيوني المتكررة بحق الشعب الفلسطيني مجرمة دولياً ومندرجة ضمن نطاق الجرائم الدولية والتي للمحكمة الجنائية الدولية مرجع النظر الحكمي فيها والذي يقوم على أشد الجرائم خطورة على المجتمع الدولي بأسره، وللمحكمة بموجب هذا النظام الأساسي اختصاص النظر في الجرائم التالية: جريمة الإبادة الجماعية، الجرائم ضد الإنسانية، جرائم الحرب، جريمة العدوان.

جرائم الإبادة الجماعية

لم يكن مصطلح "جرائم الإبادة الجماعية" موجوداً قبل عام 1944، خاصة وأن له مدلولاً خاصاً، حيث أنه يشير إلى جرائم القتل الجماعي المرتكبة بحق مجموعات معينة من البشر بقصد تدمير وجودهم كلياً، هو مفهوم يتعلق بحقوق الأفراد [7]. تعني جريمة الإبادة الجماعية أي فعل من الأفعال التي ترتكب

منظمة اليونسكو في شهر أكتوبر من نفس السنة[5].

تجددت المطالب الفلسطينية في 2015 حيث أودعت فلسطين وثيقة انضمامها للمحكمة الجنائية الدولية لدى الأمين العام للأمم المتحدة، لتصبح رسمياً طرفاً في نظام روما الأساسي، وأصبح النظام ساري المفعول بالنسبة لدولة فلسطين اعتباراً من الأول من شهر أبريل من العام ذاته. وبذلك تكون فلسطين قبلت باختصاص المحكمة على الجرائم المرتكبة في أراضيها منذ 13 جوان 2014، وتأكيذا لولاية المحكمة على فلسطين فقد أصدرت دائرتها التنفيذية في عام 2021 قراراً بالاختصاص الإقليمي للمحكمة على الأراضي المحتلة منذ العام 1967، وهي قطاع غزة والضفة الغربية هما فيها القدس الشرقية، مما يعني سريان التحقيق ضد إسرائيل في كافة الانتهاكات التي ترتكبها في تلك المناطق بغض النظر عن عدم انضمام إسرائيل إلى نظام روما[6].

بالعودة الى نظام معاهدة روما، تنص المادة الخامسة منها أن للمحكمة أن تمارس اختصاصها فيما يتعلق بجريمة مشار إليها في المادة 5. وتنص المادة 14 أنه "يجوز لدولة طرف أن تحيل إلى المدعي العام أية حالة يبدو فيها أن جريمة أو أكثر من الجرائم الداخلة في اختصاص المحكمة قد

أمام أنظار محكمة العدل الدولية المتعلقة بتطبيق اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها في قطاع غزة[14].

استجابة لتلك المطالب أعلن المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية كريم خان أن مكتبه تلقى إحالة من خمس دول هي: جنوب أفريقيا، بنغلاديش، بوليفيا، جزر القمر، وجيبوتي- بشأن الوضع في دولة فلسطين. في خطوة غير مسبقة في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، كما أعلن المدعي العام أيضاً سعيه للحصول على أوامر اعتقال بحق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ووزير دفاعه يوآف غالانت[15].

وقد وجه المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية عدداً من التهم إلى كل من نتنياهو وغالانت التي تعتبر بمثابة جرائم حرب لكن في المقابل، أصدرت المحكمة في وقت لاحق قراراً بالتأجيل [16].

أكدت لجنة تحقيق دولية تابعة للأمم المتحدة في شهر يونيو 2024 أن إسرائيل ارتكبت جرائم ضد الإنسانية في الحرب على غزة "مثل الإبادة" وذكرت اللجنة في عرض سيقدّم أمام مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة الأسبوع المقبل أنه "تم استهداف رجال وصبيان فلسطينيين عبر جرائم ضد الإنسانية، مثل الإبادة والاضطهاد، بالإضافة إلى جرائم القتل والنقل القسري والتعذيب والمعاملة الإنسانية أو القاسية" [17].

ب نقائص خطوة المحكمة الجنائية الدولية تجاه إسرائيل.

إن المتأمل في بيان المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية سيلحظ بكونه يساوي من حيث الإدانة بين الضحية والجلاد ويتنكر لحق الشعوب في تقريرها مصيرها وممارستها لحق الكفاح المسلح، فقد كان لافتاً عدم اتهام المدعي العام للمحكمة الجنائية القادة الإسرائيليين بارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، غير أنه استعاض عن ذلك باتهامهم بارتكاب جريمة الإبادة والقتل ضمن الجرائم ضد الإنسانية، وفي هذا السياق تندرج حالات الوفاة الناجمة عن سياسة التجويع [18].

من اللافت للنظر أيضاً أن قرار المدعي العام للمحكمة الجنائية لم يكتف فقط بإدانة الاحتلال الإسرائيلي بل أدان المقاومة الفلسطينية متتكرراً لحققها المشروع في ممارسة الكفاح بصفته أحد أوجه تقرير المصير، حيث يمنح حق الكفاح المسلح لحركات التحرر الوطني باعتباره وثيق الصلة بأهم مبادئ القانون الدولي وهو حق تقرير المصير لاستعادة القطر أو الأقاليم المحتلة، وذلك من خلال مشروعية استخدام القوة المسلحة مقابل الالتزام بقوانين وقواعد الحرب وأعرافها. وتعرف حركات التحرر الوطني طبقاً لذلك على أنها حركات وطنية اجتماعية ذات تنظيم محكم مناهض

للتزاعات المسلحة الأهلية والدولية حتى خارج زمن الحرب، وحذا حذوها نظام روما في المادة الثامنة [10].

ب - تعاط بالاستجابة دون فاعلية للمحكمة الجنائية الدولية مع المطالب الفلسطينية

رفضت المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية فاتو بنسودة فتح تحقيقات في الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية عام 2010 في ثلاث مناسبات [11]. خاصة لما أثير الطلب لأول مرة أمام المحكمة الجنائية الدولية سنة 2009.

تم السماح لدولة فلسطين بالانضمام إلى نظام معاهدة روما في عام 2015، وهو نفس العام الذي بدأ خلاله التحقيق الأولي. باعتبار عدم انضمام إسرائيل إلى نظام روما، قالت إسرائيل أن المحكمة ليس لها سلطة قضائية لأن دولة فلسطين ليست دولة ذات سيادة [12].

دوماً ما كان عدم انضمام إسرائيل لتلك المعاهدة عائقاً أمام فتح تحرك قانوني قضائي ضدها، لكن بدأ تحقيق المدعي العام بشأن الحالة في فلسطين في 3 مارس 2021 الذي يشمل السلوك الذي قد يرقى إلى مستوى الجرائم المنصوص عليها في نظام روما الأساسي والتي تم ارتكابها منذ 13 جوان 2014 في غزة والضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية، وفقاً للمحكمة [13]، لكن دون قرارات فعلية ملموسة.

2- المحكمة الجنائية الدولية تنظر في إمكانية مسؤولية جزائية للكيان الصهيوني.

تمثلت الخطوة المهمة التي قبلت بموجبها محكمة الجنائية الدولية النظر في إثارة بعض الدول الأعضاء المنخرطين في نظامها الأساسي دعوى ضد الكيان الصهيوني بعد أحداث السابع من أكتوبر 2023 خطوة نحو صحوه الضمير المرتقبة (أ)، لكن بقيت خطوات محتشمة في محل انتظار تفعيلها لا سيما أنها احتوت على نقائص وعوائق تحول دون مسألة جنائية فعلية للكيان الصهيوني (ب).

أ - استجابة المحكمة بالنظر في جرائم الاحتلال بموجب طلب دول أعضاء في المحكمة.

تحركت المحكمة الجنائية الدولية لمساءلة إسرائيل بعد ممارسة الكيان الصهيوني لجرائم عديدة مندرجة ضمن مرجع نظرها عند إثارة دولة جنوب أفريقيا دعوى ضد الكيان الصهيوني

روما 1998 وهي أي فعل من الأفعال المحظورة المنصوص عليها في نظام روما، إذا ارتكب بشكل منظم وممنهج ضد مجموعة من السكان المدنيين، مثل القتل العمد والإبادة والاغتصاب والإبعاد والنقل القسري والتفرقة العنصرية والاسترقاق. مع اشتراط الركن القسدي المتمثل في عبارة العلم.

جرائم العدوان

يعني «العمل العدواني» استعمال القوة المسلحة من جانب دولة ما ضد سيادة دولة أخرى أو سلامتها الإقليمية أو استقلالها السياسي، أو بأي طريقة أخرى تتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة. وتنطبق صفة العمل العدواني على أي عمل من الأعمال التالية، سواء بإعلان حرب أو بدونه، وذلك وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 3314 (د-29) المؤرخ 14 ديسمبر 1974: قيام القوات المسلحة لدولة ما بغزو إقليم دولة أخرى أو الهجوم عليه، أو أي احتلال عسكري ولو كان مؤقتاً ينجم عن مثل هذا الغزو أو الهجوم، أو أي ضم لإقليم دولة أخرى أو لجزء منه باستعمال القوة، أو قيام القوات المسلحة لدولة ما بقصف إقليم دولة أخرى بالقنابل، أو استعمال دولة ما أية أسلحة ضد إقليم دولة أخرى.

جرائم الحرب

وتعني كل الخروقات المرتكبة بحق اتفاقية جنيف لسنة 1949، وانتهاك قوانين الحرب في نزاع مسلح دولي أو داخلي.

نصت عليها المادة الخامسة من معاهدة روما، وكان قد سبق ان تعريفها في اتفاقية باريس 1856 الخاصة بمعاملة المحاربين في الحروب البحرية واتفاقية جنيف 1864 الخاصة بتحسين حالة الجرحى في ميدان القتال واتفاقية لاهاي الأولى 1899 الخاصة بأحكام الحرب البرية ثم تلتها اتفاقيات بروتوكول جنيف 1925 بتحريم استخدام الغازات السامة واتفاقية جنيف 1929 الخاصة بمعاملة الأسرى والمرضى والجرحى ثم اعتمدتها اتفاقية جنيف الأربع لعام 1949 ثم ادمج معها بروتوكولان إضافيين في 1977 بعنوان حماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية [9] وتكرر تعريفها في المحاكم الجنائية الدولية الخاصة بجرائم ميثاق المحكمة العسكرية بنورنبرغ واقتصرت فقط على الجرائم المرتكبة زمن الحرب فقط اما الميثاق الخاص بالمحكمة الجنائية الخاصة برواندا ويوغسلافيا فقد وسعت مفهوم جريمة الحرب ليشمل الجرائم التي ترتكب خارج

قرار المدعي العام

للمحكمة الجنائية لم

يكتف فقط بإدانة

الاحتلال الإسرائيلي بل

أدان المقاومة

الفلسطينية

الهوامش

1. إبراهيم ملاوي وعبد اللطيف دحية، **الجريمة الدولية والقضاء الجنائي الدولي**، مركز البحوث والدراسات حول الجزائر والعالم، ط 1، الجزائر، 2016 ص. 7-8.
2. عدلي عصمت وطارق الدسوقي إبراهيم، **حقوق الإنسان بين التشريع والتطبيق**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008.
3. عبد المجيد العبدلي **قانون العلاقات الدولية**، مجمع الأطرش للكتاب المختص، ط 5، تونس 2014، ص. 307-308.
4. مؤسسة "الحق" والمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، **ورقة موقف حول نطاق اختصاص المحكمة الجنائية الدولية على الوضع في فلسطين**، أوت 2013.
5. Dan Williams, « Israel defies UN after 3,000 new vote on Palestine with plans for homes in the West Bank » 01 December 2012 <https://www.independent.co.uk/>.
6. وائل المصري، **الجنائية الدولية: قراءة قانونية في إعلان كريم خان ضد إسرائيل وحماس**، 21 ماي 2024، <https://www.aljazeera.net>.
7. موسوعة الهولوكست، ماهي جريمة الإبادة الجماعية، <https://encyclopedia.ushmm.org>.
8. عبد المجيد العبدلي، مرجع سابق، ص 213.
9. الشيخة حسام علي عبد الخالق، **المسؤولية والعقاب على جرائم الحرب مع دراسة تطبيقية على جرائم الحرب في البوسنة والهرسك**، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية 2004، ص 12.
10. عبد المجيد العبدلي، مرجع سابق، ص 233.
11. "بيان المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية، فاطو بنسودا، بخصوص التحقيق في الحالة في فلسطين"، 3 مارس 2021، <https://www.icc-cpi.int/fr>.
12. نفسه.
13. "خمس دول تحيل الوضع في فلسطين إلى المحكمة الجنائية الدولية"، 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2023 <https://news.un.org/ar/>.
14. "محكمة العدل الدولية تقر تدابير مؤقتة إضافية في دعوى جنوب أفريقيا ضد إسرائيل بخصوص غزة"، 28 مارس 2024 <https://news.un.org/ar>.
15. "خمس دول تحيل الوضع في فلسطين إلى المحكمة الجنائية الدولية"، مرجع سابق.
16. "الجنائية الدولية تؤجل إصدار مذكرتي اعتقال نتنياهو وغالانت"، 24 جويلية 2024، <https://www.aljazeera.net>.
17. "لجنة تحقيق أممية تتهم إسرائيل بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في غزة"، 12 جوان 2024، <https://www.aljazeera.net/>.
18. **وائل المصري**، مرجع سابق.
19. مبروك جنيدي، "حركات التحرر الوطني في ظل القانون الدولي العام"، **مجلة العلوم الاجتماعية**، المجلد 8، عدد 15، 2018، ص 323.
20. ضحى وضاح الشافعي، "شرعية المقاومة المسلحة الفلسطينية وقانونيتها الدولية"، 15 سبتمبر 2018، مركز سيتا <https://sitainstitute.co>.
21. المكتب الإعلامي لحركة حماس، **لماذا طوفان الأقصى؟ هذه روايتنا**، ص 7.
22. "الدول الغربية تنتقد مساواة الضحية بالجلاد في قرار "الجنائية"، 21 ماي 2024 <https://www.skynewsarabia.com>.
23. إبراهيم ملاوي وعبد اللطيف دحية، مرجع سابق، ص. 188-190.

استجابات

المحكمة الجنائية

الدولية وقامت

بفتح تحقيق ضد

قادة الكيان وهو

ما يمثل بواذر

لصحة في تعاملها

مع القضية

الفلسطينية، إلا

أن خطواتها ظلت

محتمشة

“

والعسكريين البريطانيين عن جرائم حرب ارتكبوها إبان الاحتلال الأمريكي في العراق، وجدير بالذكر أن بريطانيا من أوائل الدول التي صادقت على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية وفضلا عن تعديل قانونها الداخلي حتى يكون مطابقا للنظام الأساسي للمحكمة. وقد تقدم المحامي الفرنسي- جاك فيرغاس بدعوى ضد المملكة البريطانية المتحدة وجهها الى المدعي العام متهما إياها بارتكاب جرائم حرب في العراق وهي قادرة على النظر في تلك الجرائم بموجب اختصاصها حتى ان لم يوجه لها طلب. وفي المقابل رفضت بريطانيا متابعة قادتها الحكوميين والعسكريين من قبل المحاكم البريطانية أو من محكمة العدل الدولية بكون حربها في العراق كانت حرب دفاعية، والحال انها جريمة عدوان وجريمة حرب.[23]

تطرح تلك السابقة إمكانية قيام حلول بديلة، مثل مقاضاة الكيان الصهيوني أمام محاكم ذات اختصاص عالمي على غرار المحاكم البلجيكية، إذا فشلت المحكمة الجنائية الدولية في تتبع المجرمين الإسرائيليين على ما اقترفوه من جرائم دولية تدخل في دائرة اختصاصها، لاسيما ان الجرائم الجنائية الدولية لا تسقط بالتقادم.

خاتمة

لقد مارست الدولة الفلسطينية حقها الشرعي في التقاضي امام المحكمة الجنائية الدولية وخاصة لما انضمت لنظام روما الأساسي المنظم لمرجع نظرها لكن دون جدوى تذكر، ولكن مع تحرك دول عديدة مصادقة على هذا النظام بطلب مؤاخذة الكيان جنائيا امام انظارها، وخاصة بعد أحداث السابع من أكتوبر 2023 في قطاع غزة، أين استأنف الكيان الصهيوني جرائمه بحق الشعب الفلسطيني والتي مازالت مستمرة الى اليوم، استجابت المحكمة الجنائية الدولية وقامت بفتح تحقيق ضد قادة الكيان وهو ما يمثل بواذر لصحة في تعاملها مع القضية الفلسطينية، إلا أن خطواتها ظلت محتمشة، مما يفتح التساؤل حول واقع فاعلية العدالة الجنائية الدولية اليوم وأفاقها في الانتصار للمضطهدين وملاحقة المجرمين ووضع حد لعردة الكيان الصهيوني.

للاستعمار بشكل أشكاله جاءت كرد فعلي طبيعي على المحتل الغاشم هادفة الى تحقيق استقلال اوطانها وحرية شعوبها. [19]

يكتسي حق الكفاح المسلح الفلسطيني ردا مشروعا على احتلال لبلد كامل السيادة او بلد يمتلك شرعية تاريخية سيادية على ارضه وبفعل الاحتلال أصبح منتقص السيادة ويمكن تعريف الاحتلال على انه فرض دولة سيطرتها بالقوة على دولة اخرى مما يفقد الاخيرة سيادتها وشخصيتها الدولية وهي مقترنة بالرد على الظاهرة الاستعمارية. وقد قضت محكمة العدل الدولية، في قضية "برشلونة تراكشن"، بأن رفض دولة ما تطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها لصالح الشعب الذي تحكمه يعد خرقاً لحق هذا الشعب وحق كل أعضاء المجموعة الدولية، ويحق بالتالي للشعب والمجموعة الدولية كذلك التحرك لوضع حد لخرق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها. [20]

وقد أكدت الشرعية الدولية في مناسبات عديدة أحقية الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره. ولقد أصدرت حركة المقاومة الإسلامية حماس كتابا بعد أحداث السابع من أكتوبر بعنوان "لماذا طوفان الأقصى؟" هذه روايتنا"، بينت عبره أنها هاجمت مواقع للاحتلال الصهيوني في مستوطنات تقع بغلاف غزة مكان الهجوم، وأكدت التزامها بعدم استهداف المدنيين الإسرائيليين. [21]

إن نقائص تعاطي المحكمة الجنائية الدولية مع الملف الفلسطيني يطرح نقاط أخرى متعلقة بمدى نجاعة نظام روما الأساسي في تكريس عدالة جنائية فعلية تنتصر للمضطهدين ولا تشجع الجناة على الإفلات من العقاب. تبعا لذلك تطرح مسألة عدم انضمام الكيان الصهيوني لنظام روما الأساسي الخاص بالمحكمة الجنائية الدولية يشكل عائقا أمام تتبعه جنائيا، بالإضافة الى دور الولايات المتحدة الامريكية الحامي له، وحتى ان كان الكيان الصهيوني قد ينضم الى تلك المعاهدة فطالما أنه محمي من بعض الدول النافذة في صناعة القرار العالمي المالكة لحق النقص في مجلس الأمن، فقد صرح وزير خارجية الولايات المتحدة السابق مايك بومبيو، بكونه يعارض بشدة هذا وأي عمل آخر يهدف إلى استهداف إسرائيل بشكل غير عادل، في حين ذكرت ألمانيا أنها تثق في المحكمة وتريد تجنب تسييس القضية، في المقابل أعلنت المجر أنها تتفق مع حجج إسرائيل حول الاختصاص القضائي. [22]

ولعل هذه الحالة، مع تأجيل المحكمة الجنائية الدولية إصدار مذكرتي اعتقال بحق قادة الكيان، تحيل على سوابق أخرى تجسد ازدواجية المعايير لدى القضاء الدولي كعدم مقاضاة المسؤولين الحكوميين

كيف يعمّق الذكاء الاصطناعي الهوة بين الروائع الأدبية والكتابات الرخيصة؟

مقال لدانيال باردسلي*

الأمريكيين وتحالف منتجي الأفلام والتلفزيون.

مُدح الاتفاق باعتباره انتصارا للبشر على الآلات، وهو يقتضي إمكانية استعمال الذكاء الاصطناعي كوسيلة، ولكن ليس لتعويض الكتاب من البشر.

عند سؤاله إذا كان من الممكن للذكاء الاصطناعي أن يجسّد دقائق الشخصية البشرية على غرار ما يقوم به كاتب من البشر، يجيب جايمس روبرت كارسون، وهو أستاذ مساعد وعضو مجموعة بحث الكتابة الإبداعية بجامعة غرب أنجليا بالمملكة المتحدة، أنه بالنسبة لبعض أنواع الكتابات، يمكن للجمهور المستهدف أن يلاحظ الفروق الضئيلة بين ما تنتجه الآلة أو ما ينتجه الإنسان. يقول كارسون "على كلّ حال، ينتج العديد من الكتاب دراما من نوع مألوف. هم يقلّدون أساليب معينة. وربما، في بعض المجالات، لن يكون هناك تحوّل كبير".

محاكاة كتاب حاليين

في العام الماضي، قام طيف واسع من الكتاب، بما في ذلك كتاب معروفون على غرار مارغريت آتوود ودان براون، بكتابة رسالة مفتوحة إلى شركات التكنولوجيا طالبين منهم الحصول على موافقتهم ودفع مبالغ مالية لهم إذا استعملت كتاباتهم المنشورة لتدريب برامجهم التوليدية للذكاء الاصطناعي.

كان فال ماكدرميد، وهو كاتب قصص بوليسية مشهور من اسكتلندا، من بين الروائيين الذين رفعوا أصواتهم عاليا في خصوص استعمال كتاباتهم دون موافقتهم.

"بالتأكيد" أن تنتج روايات بنفس أسلوب تلك التي وقع نشرها سابقا. وتضيف أنه يمكن لـ"نماذج اللغة الكبيرة" أن تولّد مضمونا يمكن أن يحاكي ويستعمل معارف هائلة، على غرار كلّ الروايات التي نشرها شخص ما. وتقول "من أجل ذلك، فهذه النماذج هي قطعاً ضخمة بشكل مهول وتحتاج قدرا كبيرا من قوّة المعالجة".

الهندسة الفورية

تزوّد تقنية، تسمّى توليد الاسترجاع المعزّز، نماذج اللغة الكبيرة بمعلومات إضافية حتى يمكنها إنتاج مخرجات بشكل معيّن. تقول د. بانسار "يمكن لك تعريف رواية حسب ما تريد أن تشبهه من خلال مجموعة من الأوامر. [مثلا]، يمكن لك أن تحدّد "أسلوب أليستر كامبل"، أو أن تحدّد عدد الشخصيات أو السياق الذي تدور فيه الأحداث".

تحدّد مثل هذه "الترتيبات الفورية" نوع الرواية أو غيرها من المخرجات المطلوبة، بينما يمكن اشتغال لاحق من تحسينها.

تقول د. بانسار أنّ "هذه الهندسة الفورية شغل في حدّ ذاته. يمكن أن نرى بعض التزايد في هذا النوع من الشغل، فيتحوّل كتاب إلى مهندسين فوريين.

إنّ توظيف الذكاء الاصطناعي في الكتابة الإبداعية كان أحد المواضيع الهامة خلال إضراب كتاب هوليوود العام الماضي، والذي انتهى في شهر سبتمبر باتفاق بين نقابة الكتاب

لو كان بإمكان ألف قرد يستعملون ألف آلة كتابة أن يخطّوا أعمال شكسبير، عندها يمكن لفكرة أن تقوم برمجيّة ذكية اصطناعية بإبداع رائعة أبدية أن تكون محتملة بنفس القدر.

إذا عدنا بضعة عقود إلى الوراء، كانت فكرة أن تقوم الآلات بكتابة الروايات تبدو خيالية، إلى حدّ أنه لا يمكن أن نجدّها إلا في الخيال العلمي. اليوم، أصبح ذلك واقعا. تطوّرت إمكانيات الذكاء الاصطناعي إلى الحدّ الذي يجعل من الممكن لمجموعة من اللوحات الكهربائية أن تكتب أحد الكتب الأكثر مبيعا.

صديق أم خصم؟

عندما تسلمت الكاتبة ري كوجان أسمى الجائزات الأدبية اليابانية عن كتابها "طوكيو-تو دوجو-تو" الذي تدور أحداثه في طوكيو في المستقبل، قالت أنها استعملت الذكاء الاصطناعي التوليدي لإنتاج الكتاب الذي تمثّل التكنولوجيا أحد ثيماته.

في نفس الوقت، يحتجّ كتاب مرموقون بشدة على استعمال كتبهم لتدريب برمجيات الذكاء الاصطناعي التوليدي، وهو ما يمنح التكنولوجيا القدرة على كتابة روايات مماثلة في أسلوبها لتلك التي كافحوا عدّة سنوات لإنتاجها.

تقول د. كولفندر بانسار، وهي أستاذة مساعدة في تطبيقات السكاء الاصطناعي بكلية الهندسة والتقنيات الرقمية بجامعة برادفورد بالمملكة المتحدة، أنه يمكن للتكنولوجيا



ترجمة: حمزة عمر

رئيس تحرير مجلة "حروف حرة"

hamza@tounesaf.org

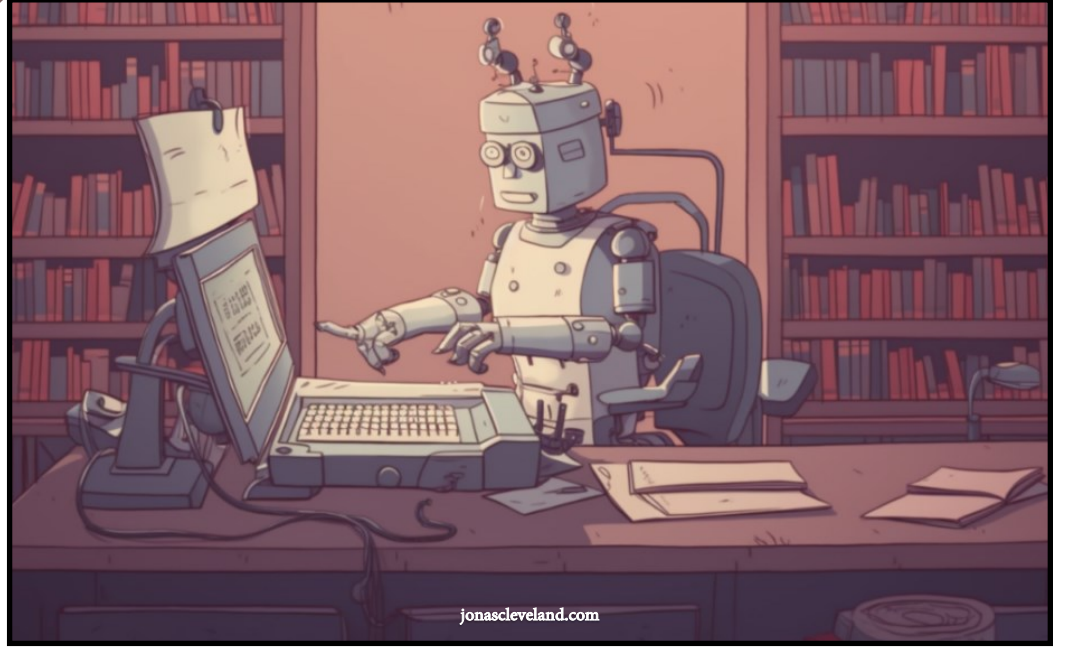
كانت فكرة أن تقوم

الآلات بكتابة الروايات

تبدو خيالية، إلى حدّ

أنه لا يمكن أن نجدّها

إلا في الخيال العلمي



يبدو أن روايات

الذكاء

الاصطناعي، ذات

المضمون الزهيد

في تكلفة إنتاجه

وتوزيعه الإلكتروني،

ستصبح أكثر عددا

وأيسر في الحصول

عليها

الموجود لدى البشر. ويضيف: "إنَّ بعض الأعمال الإبداعية خلال العقود القليلة الماضية نبتت من تجارب الأشخاص يكتبها بشر، بينما سيعمل الناشر والمعاينة وأعمق التعقيدات الوجدانية فضلا عن تشعبات التاريخ البشري والأحداث العالمية. لا يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون بديلا عن أي من ذلك. إنَّ الرواية والمسرحية والتسجيل هي كلها نتاج للثقافة. وهي تجسد بطرق مختلفة روح العصر ومشاعر المجتمع الذي يولدها." ويقول أنَّ أنظمة الذكاء الاصطناعي معرَّضة لتحيزات مبرمجها، وهو ما قد يتجلى في الروايات أو المسرحيات أو المقالات أو القصائد أو غيرها من الأعمال الفنية التي تنتجها. بالرغم من كل ما يبدو عليها من محدودية إبداعية، يبدو أنَّ روايات الذكاء الاصطناعي، ذات المضمون الزهيد في تكلفة إنتاجه وتوزيعه الإلكتروني، ستصبح أكثر عددا وأيسر في الحصول عليها.

*نشر هذا المقال بموقع جريدة The National بتاريخ 29 مارس 2024. رابط المقال الأصلي:

<https://www.thenationalnews.com/news/2024/03/29/how-ai-will-deepen-the-divide-between-literary-masterpieces-and-cheap-reads/>

يقول د. كيفان مانوارينغ، وهو يدرّس الكتابة الإبداعية بكلية الفنون ببورنموث بالمملكة المتحدة، أنه رغم أنه من الممكن للذكاء الاصطناعي أن يستخدم ما نشره كاتب ما لينتج كتابا أخرى من نفس النوع، فإنه لا يمكن له أن يعوّض المدخلات البشرية. د. مانوارينغ هو نفسه كاتب غزير الانتاج، إذ كتب أو شارك في كتابة أو أشرف على أكثر من ثلاثين كتابا، من بينها عدّة روايات. ويضيف "أظنَّ أنَّ الذكاء الاصطناعي اسم بلا مسمّى، بل تجدر تسميته الذكاء المكّس، فذلك ما هو عليه. فهو فقط يستعيد أو يعيد تشكيل ما هو موجود على الانترنت، ولا يخترع شيئا إذ لا يستطيع أن يتجاوز ما هو موجود في الدائرة الافتراضية، وهي تتمثل فيما نختار نحن تحميلها إليها. لا يمكنه إلا أن يكون اشتقاقيا، لا ابتكاريا. هو ممتاز في التوليف... إذا شئت نسخة مقلّدة عن ديكنز أو فال ماكدرميد، أعتقد أنَّ الذكاء الاصطناعي يقوم بذلك بامتياز".

يوافق عدنان بشير، وهو مدير دولي للاتصالات الخارجية بشركة برمجيات، على هذه النقطة إذ يقول أنَّ الذكاء الاصطناعي لا يمكنه أن يعوّض العبقرية والإبداع والتفكّر والتنسيب الثقافي

فيلم "الحرب الاهلية 2024": من سنقاتل ؟

المريعة التي يقدمها العمل التلفزيوني. هنا تفقد الصحافة حياديتها، حيادية باردة تدافع عنها لي مرارا وتكرارا، حيادية من دونها تفقد المصداقية ويصبح الصحفي مجرد بيدق يحركه صاحب الأيديولوجيا. هنا ستصبح المقاومة الإعلامية سلاحا لا يختلف عن أسلحة الدمار الشامل التي سببت حشود الموتى، خبر مؤدلج واحد قد يحرك الحشود نحو الهاوية وليست الحيادية هنا الا حزام امان يمنع تحول الصحافة لسلاح بيد احد اطراف النزاع. جسدت لي هذه الحيادية في مرافقتها لميليشيا الباغالو bagaloo اثناء قتالها لقوات الحكومة الامريكية، فلم تمتنع عن تصوير قتلهم لأعدائهم أو تصوير اعداماتهم الميدانية للأسرى. يشد الانتباه هنا اعتماد المخرج جيرلان لميليشيا موجودة في واقعنا تنحصر للحرب الاهلية القادمة ليضعها في عمله الفني، خطوة مثيرة للجدل وغريبة ان اخذنا في الاعتبار ان الميليشيا هي من التيار المحافظ في الواقع وقتالها للقوات الامريكية في الفلم. قد يبدو تناقضا مثيرا للسخرية، إلا انه كان بداية السؤال من نقاتل؟

يعد مشهد ملعب الغولف، أحد تلك المشاهد التي استغلها المخرج لي طرح السؤال بصراحة، في الحرب الاهلية من نقاتل؟ قد يبدو الجواب بديهيا الا انه سؤال ظل بلا جواب ليس لغياب الجواب بل لشناعته... قنص يطلق النيران على ابطال الفلم اثناء عبورهم لملعب غولف... لأي جهة يقاتل القنص؟ لا أحد يعلم. يتوقف السيارة خلف سائر ليجد أبطالنا قناصا آخر ومساعدته منبطحين على الأرض يحاولان صيد القناص المعادي. يستغل جيرلان حوارات هذا المشهد ليعيد تقديم سؤاله، يسأل الصحفي المساعد من أنتم ومن تقاتلون.. هيئة القناص ومساعدته قد تجيب عن هويته شعر ملون وظافر مطلية تجعلنا نعرف انه من القوات الغربية التي تقاتل الحكومة وغالبا هو من كاليفورنيا. رغم هذا الوضوح يفضل المخرج الصمت عن أي جهة يقاتل لصقها الجنديان. يسأل الصحفي: لماذا يصوب

يقوم فريقنا الصحفي بتصوير الضحايا، نط ليس إلا جزءا من جدل بين لي سميث وزميلها الصحفي سامي حول أي دور للصحفي في الحرب. لي ذات الهيئة الباردة تؤمن برسالة واحدة تعبر عنها بقولها: لقد صورت عنف الحروب في ارجاء العالم لكي أري الديار وأنبههم من الحرب، وها أنا اليوم اصور ويلات الحرب في ديار. أما سامي، فيرى ان لي فقدت الايمان بالعمل الصحفي... فهي قصرت العمل الصحفي على الأخبار وتخلت عن واجبها في المقاومة.

لا يمكن حقا فهم دور الصحافة في الحرب دون فهم جديد لمفهوم العمل الصحفي بعيدا عن الفهم التقليدي. الصحافة عند سامي ليست ذلك العمل الاخباري او حتى التحليلي لأحداث حاصلة، بل هو صناعة للرأي العام وتوجيه الأضواء حيث يجب أن توجه. لا يمكن للصحفي أن يكون ناقلًا للحدث بل صانعا له. تلك الصور لحشود الموتى ليست خبرا يجب نقله بل حدثا وجب مقاومة حصوله مرة أخرى، هنا يكون الوقوف على الحياد جريمة لا تغتفر. هذا الشكل الجديد للصحافة يجعل السينما وأعمال الشاشة الصغيرة جزءا بشكل ما من العمل الصحفي نظرا لدورها في صناعة الرأي العام او كونها جبهة متقدمة للحرب الاهلية.

ليس المسلسل الحدث حاليا في الولايات المتحدة "الرفاق" الا مثلا صارخا للحرب الإعلامية الحاصلة بين التقدمين والمحافظين. تم استغلال عمل تلفزيوني في الأصل كان ذا هدف ترفيهي اعتمد مفهوم المربع كمحرك لأحداثه ليصبح جزءا من المقاومة، مقاومة المد "الفاشي" في الولايات المتحدة. طبعا هذا مايتبناه التقدميون. أما بالنسبة للمحافظين، فالعمل ليس أداة قذرة تعتمد على ربط أيديولوجيتهم بالمحافظة بالصور

دائما ما كانت نهايات القوى العظمى دموية، إلا أن أبشع النهايات وأكثرها دموية كانت عبر الحروب الاهلية. ليست هناك نهاية شاعرية لقوة عظمى ولدت من رماد حرب أهلية إلا حرب أهلية أخرى تكتب نهاية حتمية لنظام وصفه الفيلسوف السياسي الأمريكي فوكوياما بأنه نهاية التاريخ، يجادل البعض ان الحرب الاهلية قد بدأت بالفعل وليس فيلم "الحرب الأهلية 2024" (CIVIL WAR 2024) تنبؤا بمستقبل ديستوبي بعيد بل مجرد سرد لتاريخ يحصل امام اعيننا. قد يتعارض هذا الطرح مع اختيار المخرج اليكسندر جيرلان للإشراف على هذا العمل الفني، مع سلسلة اعمال كانت في الغالب من قبيل نهاية العالم او ما يصطلح على تسميته apocalypse genre قد يخرج أسلوب المخرج الفيلم من واقعيتها، إلا أن يبدو أن المخرج نجح في واقع الأمر، ولو نسبيا، في الحفاظ على واقعية للعمل الفني تحفظ الرسالة الاصلية للعمل أي ان الحرب الاهلية جارية حاليا.

أي دور للصحفي في الحرب؟ من نقاتل؟ هل ستصور لحظة موتي؟ ثلاثة أسئلة كانت محور اهتمام المخرج طول العمل. مثل كل سؤال نقطة حوار حركت الاحداث التي تراوحت بين دموية مفرطة وهدوء مريب.

كانت انطلاقة الفيلم الفعلية مع أول تفجير انتحاري في حشد ينتظر الحصول على بعض المياه، مشهد دموي بامتياز وغير متوقع يتلوه هدوء مريب تقوم فيه البطلة والصحفية الشهيرة لي سميث التي تؤدي شخصيتها الممثلة كريستين دانست بالتعرف على صحفية هاوية وتقدم لها درعا واقيا ومن ثم تقوم بتصوير الجثث، وهو نمط يتكرر طوال الفيلم. بعد كل حدث دموي،



بقلم: محمد أمين ضيفي

طالب فلسفة ومهتم بالبعد الفلسفي
لفن الاخراج في السينما الامريكية

”

أي دور للصحفي في

الحرب؟ من نقاتل؟

هل ستصور لحظة

موتي؟ ثلاثة أسئلة

كانت محور اهتمام

المخرج طول العمل

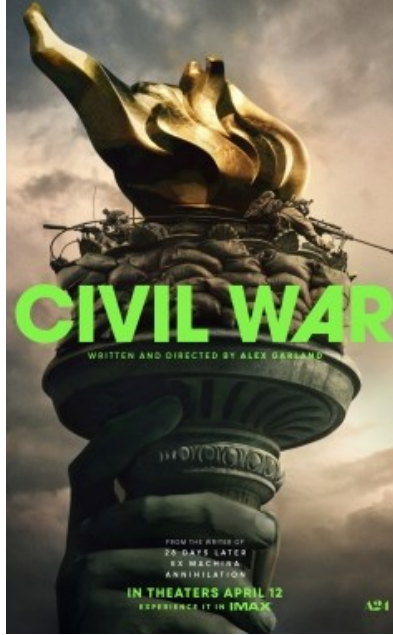
“

فيلم الحرب الاهلية في النهاية لم يكن إلا وسيلة مقاومة لفاشية التيار المحافظ هذا حسب الفهم التقدمي، او أنه مجرد بيدق اخر في حرب إعلامية يخوضها اليسار الراديكالي عبر البروباغندا القائمة عل التخويف كما يرى المحافظون.

قيمة فيلم الحرب الاهلية الفعلية كانت في سؤاله الفلسفي من نقاتل؟ يجيبنا الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز في حديثه عن حالة الطبيعة باعتبارها حالة حرب الكل ضد الكل. قد يكون من الوجهة أن نعيد فهمنا لحالة الطبيعة، فهي ليست مجرد حالة تجاوزناها بالفعل، بل هي حالة تنتظر أن نعود إليها، ولا يفصلنا عنها سوى أيديولوجيا تجعل نصف الشعب يبيد النصف الآخر،

والمعضلة هنا هي في كيفية تجنّب هذه العودة لأطول فترة ممكنة. هل للصحافة والاعلام عموما دور تحذيري قصد تجنيبنا هذه العودة؟ أم أنه على الصحافة تحريك الرأي العام ؟ هذا الدور للصحافة بحد ذاته معضلة مستعصية، فالدور الفعال للصحافة لتجنيبنا الحرب الاهلية قد يكون محركا لها.

تظل الحرب الأهلية موضوعا شائكا نتجنبه في الغالب ظنا منا أنه أمر مستبعد، إلا أنه، في واقع الأمر، هي معضلة تحيط بنا من كل الجهات. فالانقسام الإيديولوجي ليس شأنا أمريكيا خالصا، بل هو شأن عالمي. قد لا تكون الحرب الاهلية الامريكية القادمة أمريكية خالصة فأطراف صراعها اليوم لم يعودوا فقط أمريكيين. هل سنتجنب هذه الحرب حقا؟ لا أحد يعلم يقينا، ولكن ما نعلمه جميعا أن طريقة عيشنا ومستقبلنا ستكون محكومة بجوابنا على تلك الأسئلة التي ساقها اليكسندر جيرلاندر.



انتهت بموت لي عند إنقاذ الصحفية الهاوية من رصاصة اثناء الاقتحام، موت وثقته الهاوية وهي على الأرض بعدما دفعتها لي لتتلقى الرصاص مكانها. هل ستصور لحظة موتي ؟ يبدو أن الصحفية الهاوية اخذت الخيار الأصعب، وصورت موت لي صحفية الحرب الاهلية الامريكية الثانية. لماذا الصورة ؟ خاصة وان الصورة التالية كانت صورة موت الرئيس الأمريكي.

قد نفهم السؤال الأخير على أنه إعلان المخرج ان عمله أيضا هو جزء من الحرب الاهلية الحاصلة اليوم، فهو قد اختار جانبا في النهاية وسيصور موت الحيات الإعلامي في مقابل انتصاره للمقاومة، قد يكون اختياره ان تكون القوات الغربية متكونة من ولاية كاليفورنيا وتكساس أمر مثيرا للجدل من جهة، ودعوة لوحدة التقدميين والمحافظين أمام الفاشية المتصاعدة من جهة ثانية. ولكنه بالرغم من هذه الرسالة التي تدعو للوحدة وتنبيه من الحرب الأهلية، فإن هذا لم يشفع له أمام النقد الجماهيري خاصة أن توقيت عرض الفيلم سابق لانتخابات أمريكية، ونقده لأحد مرشحي هذه الانتخابات من خلال هذا العمل الفني ليس خافيا.

القنص المعادي نيرانه نحوهم؟ هل هو من قوات الحكومة؟ يجب المساعدة: لا اعلم. لا تهم هوية من نقاتل في الحرب الاهلية. قد تبدو هذه الإجابة المثالية لمعضلتنا، إلا أن المخرج يصعب المعضلة أكثر بمشهد محطة الوقود حيث صلب صاحب المحطة بعضا من جيرانه الذين حاولوا سرقة، اذا من نقاتل ؟ يبدو اننا سنقاتل الجميع... لا يقتنع مخرجنا بهذه الإجابة. فيضعنا أمام مشهد المقابر الجماعية، حيث يقع ابطالنا تحت رحمة جندي لا نعرف لأي جهة يقاتل وهو يدفن حشودا قام بقتلهم. يحاول ابطالنا الخروج من هذا المأزق فيقول الصحفي انهم امريكيون، فيرد الجندي بالجملة التي اثارته جدلا واسعا في وسائل التواصل الاجتماعي، "أي نوع من الأمريكيين أنتم؟"، هل مازلنا شعبا واحدا في الحرب الأهلية؟ هل الأيديولوجيا كافية لتقسيم شعب ؟ قد تكون بعض الأفكار كافية لجعل نصف الشعب يبيد النصف الثاني إن كان مفهوم الشعب او بالأحرى الامة ليس الا فكرة ظرفية محكومة بوجود جهاز الدولة. فمن سنقاتل؟ يبدو اننا سنقاتل أنفسنا في النهاية كما لم نقاتل أحدا من قبل، جواب فضّل المخرج ان يقدمه في كل تلك المشاهد الدموية التي عرضا على طول مدة العمل الفني.

علاقة مميزة تشكلت بين لي والصحفية الهاوية التي رافقتهم من التفجير الانتحاري إلى اعتاب العاصمة واشنطن، كانت اخر فصولها سؤال الصحفية الهاوية :هل ستصويرين موتي يا لي ؟ يبدو أن السؤال قد تحول من سؤال عابر لواقع أرق لي خاصة بعد موت سامي أثناء محاولته انقاذا وإنقاذ الجميع من جنود المقابر الجماعية. هل يجب على الصحفي ان يكتفي بتصوير حشود الموتى؟ ماذا لو كانت تلك الحشود هي عائلة او صديقا؟ أي فائدة للحياة؟ لمن تصور؟ قد لا تكون الأزمة في التقاط الصورة، بل في السبب. هل هي للأخبار؟ هل هي للتحذير أم للمقاومة؟

صدمة لي وتصرفاتها أثناء تغطية عملية اقتحام العاصمة لم تكن الا رسالة من المخرج ان حياد لي لم ينفع أحدا بشيء، وها هي توفق مع رفاقها انهيار البيت الأبيض وعملية اغتيال الرئيس... عملية

قد نفهم السؤال

الأخير على أنه

إعلان المخرج ان

عمله أيضا هو

جزء من الحرب

الاهلية الحاصلة

اليوم

النشاط الإرهابي للعصابات الصهيونية في فلسطين قبل 1948 (الجزء الأول)

الهاغانا

تعني الهاغانا، وهي كلمة عبرية، الدفاع. وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية أسست في القدس سنة 1920 وجاء تشكيلها ثمرة نقاشات طويلة بين قيادات التجمع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين وقد كان اليهودي الأوكراني فلاديمير زئيف جابوتنسكي صاحب فكرة تأسيس مجموعات عسكرية يهودية علنية تتعاون مع سلطات الانتداب، بينما كان قادة اتحاد العمل والمباي يفضلون خلق قوة مسلحة غير رسمية مستقلة تماماً عن السلطات البريطانية وسرية بطبيعة الحال. وقد قبل جابوتنسكي في النهاية اقتراح إلياهو غولب -وهو من أهم زعماء المباي ولعب دورا بارزا في تأسيس البالماخ - بإنشاء منظمة عسكرية سرية تحت اسم "هاغانا وعفودا" أي الدفاع والعمل ثم حذفت فيما بعد كلمة عمل. اعتبر مؤسسو الهاغانا أنفسهم امتداد لعصابة "هشومير" وهي منظمة تأسست سنة 1909 على يد مجموعة من المهاجرين الذين أخذوا على عاتقهم حراسة المستوطنات والعمل المسلح. وارتبطت الهاغانا منذ ولادتها بمنظمة العمال العامة "الهستدروت" والحركة الاستيطانية الصهيونية في فلسطين، ولسنوات طويلة بقيت المنظمة خاضعة لتعليمات وتوجيهات المنظمة الصهيونية والييشوف اليهودي في فلسطين وهو ما يكشف عن ارتباط الإرهاب غير الرسمي بالإرهاب المؤسسي الصهيوني. وفي سنة 1929، شاركت الهاغانا في قمع انتفاضة الفلسطينيين وقامت بالهجوم على المساكن والممتلكات العربية ونظمت المسيرات لاستفزاز المواطنين العرب وإرهابهم كما ساهمت في عمليات الاستيطان من خلال أسلوب "الصور والبرج" لبناء المستوطنات الصهيونية في يوم واحد والتعهد بحمايتها وحراستها.

ونظم أعضاء الهاغانا عمليات التدريب

يرتبط الإرهاب الصهيوني بالدعم الإمبريالي الغربي الذي حظيت به الحركة الصهيونية وذلك تزامنا مع دخول فلسطين تحت مظلة الانتداب البريطاني، إذ شجعت حكومة الانتداب على الهجرة إلى فلسطين وقامت بحماية المستوطنين وتأمين موطن قدم لهم، كما سمحت بتأسيس البنية التحتية العسكرية المكونة من المستوطنات التعاونية المعروفة بالكيبوتس التي يمكن اعتبارها أولى نواة المستوطنات الصهيونية المسلحة. ساعدت كذلك حكومة الانتداب على تكوين المنظمات الصهيونية المسلحة ودعمتها عسكريا ولوجستيا للسيطرة على الأراضي الفلسطينية وتكوين المستوطنات. وقد انخرط الشباب الذي تشبع بالأفكار الصهيونية في المنظمات الصهيونية المسلحة التي تأسست منذ عشرينات القرن العشرين أي بعد سنوات قليلة من دخول فلسطين تحت الانتداب البريطاني. فتأسست "الهاغانا" ممثلة الذراع العسكري للوكالة اليهودية منذ 1920 وقد احتوت داخل تنظيمها فرقا مختلفة كان لكل منها وظيفة. وسينشئ عن الهاغانا فيما بعد تنظيم عسكري أكثر تطرفا ودموية وهو الإرغون أو إتسل التي ستعرف بدورها انشقاقات عديدة ستفضي إلى تأسيس عصابة شتيرن الدموية نسبة إلى مؤسسها أفراهام شتيرن. وتعتبر هذه المنظمات الإرهابية العسكرية العمود الفقري للإرهاب الصهيوني إلى حدود 1948 حتى أنه ينذر أن نجد عملا إرهابيا في فلسطين منسوباً إلى جماعات غيرها. وقد تم بناء الجيش الإسرائيلي استناد إلى هذه المنظمات الثلاث.

مثل نجاح الحركة الصهيونية في ماي 1948 في تأسيس كيان سياسي لليهود على الأراضي الفلسطينية تتويجا لمشروع استيطاني إحلالي، امتلك مفاتيح اللعبة منذ البداية، إضافة إلى الدعم العالمي الذي حظي به الصهاينة وما رافق ذلك من تمويل ضخم، فإن المشروع الصهيوني قد ارتكز على تخطيط استراتيجي وممنهج عمل على سرقة الأرض أولا ثم إبادة السكان الأصليين ثانيا في إطار عمليات التطهير العرقي والمذابح والاغتيالات.

وبذلك فإن الإرهاب أمر كامن في المشروع الصهيوني، إذ لا يمكن تخيل إمكانية قيام الكيان الصهيوني من دونه، فقد اعتبر الآلية المثلى التي تم من خلالها تفريغ جزء من فلسطين من سكانها، كما اعترف دعاة الصهيونية في أكثر من موقف بأن هدفهم السياسي لا يمكن تحقيقه إلا باستخدام العنف ضد السكان. وقد تميز الإرهاب الصهيوني قبل 1948 بكونه إرهاب غير مؤسسي أي أنه لا تشرف عليه المؤسسات الرسمية الصهيونية لكن يمكن القول بأن الإرهاب الصهيوني المؤسسي وغير المؤسسي مرتبطان تمام الارتباط، إذ ستندمج أغلب المنظمات الإرهابية الصهيونية في جيش الدولة بعد تأسيسها.

وسنركز في هذا المقال على النشاط الإرهابي للمنظمات الصهيونية قبل 1948 والمتمثلة أساسا في الهاغانا وشتيرن (أو ليحي) والإرغون ودورها في التأسيس للكيان الصهيوني ومسؤوليتها عن عمليات التطهير العرقي في القرى والمدن الفلسطينية.

الجذور



بقلم: فهمي رمضاني

أستاذ مبرز في التاريخ

نائب رئيس جمعية تونس الفتاة

fahmi@tounesaf.org

الإرهاب أمر كامن

في المشروع

الصهيوني، إذ لا

يمكن تخيل

إمكانية قيام

الكيان الصهيوني

من دونه



ساعدت بريطانيا

كذلك في إنشاء

وتدريب القوة

الضاربة للهاغانا

المسماة بالبالماخ

العصابة أجهزة استخبارية قوية مكنتها من جمع معلومات كثيرة عن العرب وقراهم مواقع تواجدهم واستفادت من كل المعلومات التي جمعتها في تنفيذ العمليات الإرهابية ضد الفلسطينيين في عامي 1947 و1948 كما سنين لاحقا. وقبل إعلان دولة إسرائيل اكتمل البناء التنظيمي للهاغانا الأمر الذي سهل عملية تحويلها إلى جيش موحد ومحترف للدولة الصهيونية حيث أصدر بن غوريون في 31 ماي 1948 قرارا بحل الإطار التنظيمي القديم للهاغانا وتحويلها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي.

الإرغون

منظمة إتسل أو الإرغون هي اختصار للعبارة العبرية "إرغون تسفاي ليومي بارتس إسرائيل" أي "المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل" وهي منظمة عسكرية صهيونية تأسست في فلسطين سنة 1931 من اتحاد أعضاء الهاغانا الذين انشقوا عن المنظمة الأم وكان من أبرز مؤسسيها روبرت بيتكر وخلفه موشي روزنبرغ ثم ديفيد رزيتيل. بنيت المنظمة على أفكار فلاديمير جابوتنسكي صاحب نظرية الجدار الحديدي أي ضرورة استعمال القوة المسلحة المفرطة لإقامة الدولة وقتل الرغبة في المقاومة لدى الفلسطينيين لذلك كان شعار

لتشكيل شرطة لحراسة المستوطنات اليهودية كما ساعدت بريطانيا كذلك في إنشاء وتدريب القوة الضاربة للهاغانا المسماة بالبالماخ وهي اختصار للعبارة العبرية "بلوجوت ماحتس" أي "سرايا الصاعقة" شُكِّلت سنة 1941 لتعمل كوحدات متقدمة وقادرة على القيام بالمهام الخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية ويعد يتسحاق ساريه مؤسسها الفعلي وأول من تولى قيادتها. مرت العلاقة فيما بعد بفترة توتر قصيرة في أعقاب صدور الكتاب الأبيض سنة 1939 حيث واجهته الهاغانا بتشجيع هجرة اليهود غير الشرعية لفلسطين، إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية أدى إلى استعادة علاقات التحالف القديمة. وحينما وضعت الحرب أوزارها، تفجر الصراع من جديد وأعلنت المنظمات الصهيونية حرب تحرير الأرض المقدسة من يد البريطانيين في إطار ما عرف بحركة المقاومة العبرية.

وبلغ عدد الأعضاء المنتسبين رسميا إلى عصابة الهاغانا حوالي ستين ألفا من الرجال والنساء وامتلكت

على استخدام الأسلحة في الكيبوتسات والمستوطنات اليهودية البعيدة عن أعين البريطانيين وتمت تدريبات أخرى في أطر رسمية تحت إشراف السلطات البريطانية من خلال دخول عناصر من الهاغانا في الشرطة البريطانية في فلسطين، وهكذا كسب أعضاء هذه المنظمة تدريبا عسكريا مجانيا ساعدهم في عملياتهم الإرهابية فيما بعد سواء ضد الفلسطينيين أو ضد البريطانيين. اعتمدت منظمة الهاغانا بالأساس على الوكالة اليهودية التي اتخذت على عاتقها مسؤولية التنظيم وتجنيد مقاتلين من كل أنحاء فلسطين. عقدت هذه المنظمة عدة صفقات لشراء الأسلحة من خارج فلسطين ونظمت عمليات تدريبية على مختلف أنواع الأسلحة كما أنتجت قسم آخر من الأسلحة في مصانع وورشات صغيرة أعدت للغرض في الكيبوتسات.

تعرضت الهاغانا لعدة انشقاقات أبرزها سنة 1931 عندما انشق جناح بقيادة أبراهام تيهومي وكون تنظيما مستقلا سمي "هاغانا ب" وهو الذي اندمج مع منظمة "بيتار" في العام نفسه لتشكيل منظمة إتسل أو الإرغون. وقد شهدت سنوات الانتفاضة العربية في فلسطين (1936-1939) تعاونا كبيرا بين الهاغانا والانتداب البريطاني، حيث تعاونت القوات البريطانية مع أعضاء الهاغانا

وأدمجت في الجيش الإسرائيلي وحصلت أرملة شتيرن على وشاح التكريم الذي أهدها رئيس إسرائيل زلمان شازار إلى كل المنظمات والمجموعات التي شاركت في جهود تأسيس الدولة.

الأعمال الإرهابية للمنظمات الصهيونية: من التأسيس إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية

بدأ الإرهاب الصهيوني مع وصول أولي المستوطنين إلى أرض فلسطين فقد كتب اليهودي زفي غنسيبرغ في يومياته عندما زار فلسطين سنة 1891 "وجدت أن المستوطنين يتصرفون بقسوة وعدوانية ضد العرب ويعتدون على حدودهم ويضربونهم من دون خجل وبلا سبب... بل يتباهون بذلك " ويؤكد في موضع آخر بأن المستوطنين كانوا يشنون حملة إرهاب على الأهالي على غرار المذابح التي تعرض لها اليهود في روسيا. وفي سنة 1907، نظم المهاجرون الصهاينة الجدد ومنهم الشاب ديفيد بن غوريون حملات مقاطعة لتجويد غير اليهود وتخليص البلاد منهم وذلك عبر منع العمالة العربية واقتصارها على العمالة اليهودية فقط وقد اعتبر بن غوريون التحريم الصهيوني للعمالة العربية أقدم من يوم السبت.

وتبرز هذه الأحداث ترسخ العنف والإرهاب والتمييز العرقي داخل الفكر الصهيوني وقد جسد المستوطنون الأوائل ذلك، ليأخذ هذا الفكر الإرهابي في النمو والترسخ خاصة مع تأسيس المنظمات الإرهابية المسلحة والمتمثلة أساساً في الهاغانا والإرغون وشتيرن. وقد مارست هذه الجماعات أعمالاً إرهابية اختلفت حدتها حسب الظرفية التاريخية، فلتن كانت ضعيفة خلال العشرينات، فقد شهدت قفزة واضحة خلال الثلاثينات وهي القفزة التي تزامنت مع صعود المد الفاشي في أوروبا وتدفق جيل من الشباب الصهاينة الذين تمسوا على العمل السري والإرهابي في بلدان أوروبا الشرقية خاصة. وتشير مذكرة رسمية بريطانية إلى أن

عسكرية صهيونية سرية أسسها أبراهام شتيرن سنة 1940 بعد انشقاقه هو وعدد من أنصاره عن إتسل وقد أطلق المنشقون عن أنفسهم في البداية "إرجون تسفاتي ليومي بإسرائيل" أي المنظمة العسكرية القومية في إسرائيل تمييزاً عن اسم المنظمة الأم ثم تغير فيما بعد إلى ليحي. أصبحت المنظمة تعرف أيضاً باسم مؤسسها شتيرن منذ سنة 1942 وذلك بعد مقتله على أيدي سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين، حيث كان شتيرن معارضا لفكرة التعاون مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وطرح في المقابل إمكانية التحالف مع ألمانيا النازية لتلحق الهزيمة ببريطانيا، فيقع التخلص من الانتداب البريطاني على فلسطين ويصبح بالإمكان تأسيس دولة صهيونية في حين اتجهت المنظمة الأم إلى التعاون مع القوات البريطانية

ولإبراز أهدافها والتعبير عن مبادئها، أصدرت المنظمة مجلتي هما "هافريت" أي الجبهة و"هاماس" أي العقل وقد كانت موجهة للأوساط الصهيونية الاستيطانية. وقد اعتبرت شتيرن أن أرض إسرائيل هي الأرض المقدسة الممتدة من نهر مصر إلى نهر الفرات وهي أرض يسكنها الشعب العبري بأمان. تعرضت هذه المنظمة لعدة صراعات وهزات داخلية، حيث انسحب اثنان من أبرز المؤسسين هما هانوخ قلعي وبينيامين زرعوني واستعادت قوتها بانضمام أعضاء جديدة مثل يتسحاق شامير وإلياهو جلعادي. ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية شاركت ليحي مع كل من الهاغانا وإتسل في العمليات الإرهابية التي استهدفت الانتداب البريطاني، فقد شبهت شتيرن نفسها بالحركات المناهضة للإمبريالية في إفريقيا والهند، كما شاركت في الهجوم على القرى والممتلكات العربية. وبعد إعلان قيام إسرائيل حلت ليحي

المنظمة يدا تمسك بندقية فوق خريطة أرض إسرائيل على ضفتي نهر الأردن وكتب عليها بحروف كبيرة "راك كاخ" أي هكذا فقط. انطلقت أعمال العصابة الإرهابية سنة 1937 عندما نفذ عدد من أعضائها سلسلة من العمليات ضد الفلسطينيين في مناطق متفرقة من فلسطين.

كانت الأعمال الإرهابية لمنظمة إتسل موجهة بالأساس نحو الفلسطينيين لكنها تحولت بعد صدور الكتاب الأبيض نحو بريطانيا وتواصل ذلك بعد الحرب العالمية الثانية ضمن ما أطلق عليه حركة المقاومة العبرية. وخلال تلك الفترة أخذ دور مناحيم بيغن زعيم إتسل الجديد في البروز بشكل واضح ونفذت بالتعاون مع ليحي وبمباركة الهاغانا مذبحة دير ياسين في 9 أفريل 1948 التي ذهب ضحيتها أكثر من مئتين من أهالي القرية العزل.

أجرت الأعمال الإرهابية والوحشية لهذه المنظمة المزارعين الفلسطينيين على مغادرة أراضيهم، كما لجأت المنظمة إلى الهجوم على السيارات العربية المدنية، مما بث الرعب في نفوس سكان المدن الفلسطينية الكبرى. وبعد قيام إسرائيل، أدمجت المنظمة في جيش الدفاع الإسرائيلي. وفي السنة نفسها (1948) أعلن مناحيم بيغن عن تأسيس حزب حيروت ونقل إلى حزبه المبادئ التي آمن بها أثناء وجوده بإتسل. وقد كرم الرئيس الإسرائيلي قيادات هذه المنظمة في نوفمبر 1968 تقديراً لدورهم القيادي في تأسيس دولة إسرائيل.

شتيرن (ليحي)

أما المنظمة الصهيونية الأخيرة فقد كانت شتيرن أو ليحي وهي اختصار للعبارة العبرية "لوحمي حيروت إسرائيل" أي المحاربون من أجل حرية إسرائيل وهي منظمة

تبرز هذه

الأحداث ترسخ

العنف والإرهاب

والتمييز العرقي

داخل الفكر

الصهيوني

الإرهابيين الصهاينة يأتون من روسيا وبولندا والبلقان ولا يعرفون التسامح وهم نتاج أنظمة تعليمية تغذي التعصب والشوفينية، كما ترتبط القفزة الواضحة في حجم النشاط الإرهابي الصهيوني آنذاك ببداية تبلور حركة وطنية فلسطينية مناهضة للمشروع الصهيوني.

ومن أهم مظاهر تزايد العمليات العسكرية الإرهابية التي استهدفت الفلسطينيين والتي قامت على مبدأ "أقتل العربي في أي مكان" قيام عناصر منظمة الهاغانا بقتل مواطنين فلسطينيين عزّل بجوار مستوطنة بتاح تكفا رمايا بالرصاص سنة 1936 وقد هدفت هذه العملية حسب الهاغانا إلى نشر الرعب والخوف في صفوف الفلسطينيين وإثبات وجود منظمات عسكرية صهيونية تعمل على خلق دولة إسرائيل. كما شهدت سنة 1937 سلسلة من الأعمال الإرهابية التي استهدفت الفلسطينيين، حيث أُلقت منظمة الإرعون قنابل يدوية في المقاهي والأسواق وكان أشهرها إلقاء قنبلة على سوق الخضار المجاور لبوابة نابلس في القدس، فسقط عشرات من العرب بين قتيل وجريح. هاجمت كذلك منظمة إتسل قافلة عربية فقتلوا ثلاثة منها بينهم امرأتان في 14 نوفمبر 1937. إلى جانب عمليات القتل والتخويف والإرهاب، قامت العصابات الصهيونية بسرقة البنوك حيث تم سرقة البنك العثماني في 13 سبتمبر 1936. وفي 11 نوفمبر 1937 أُلقت منظمة الإرعون قنبلة على مجموعة من الفلسطينيين في شارع يافا في القدس كما هاجمت في نفس الشهر المقاهي والأسواق بالرشاشات والقنابل ولم تسلم كذلك السيارات ووسائل النقل الأخرى كالحافلات والقطارات.

وفي 6 مارس 1937، لقي 18 فلسطينيا مصرعهم وأصيب 38 آخرون من جراء إلقاء قنبلة يدوية في سوق حيفا، كما تعرضت نفس السوق في شهر جوان من السنة نفسها إلى تفجير سيارة ملغومة أودى بحياة 350 فلسطيني وجرح 70 آخرين. وقد كانت المنظمات الصهيونية

تفتخر بأن العدد كان أكبر بكثير مما أعلنت عنه سلطات الانتداب. وفي اليوم التالي سقط 27 فلسطينيا وأصيب 46 آخرون بجروح من جراء قنبلة يدوية ألقتها العصابات الصهيونية على السوق المزدهم في يافا، كما فجرت منظمة إتسل قنبلة يدوية أمام أحد المساجد في مدينة القدس في 15 جويلية 1937 أثناء خروج المصلين، فقتلت عشرة أشخاص وأصابت ثلاثين. ومن أبرز العمليات الإرهابية التي شهدتها سنة 1939 الهجوم الذي دبرته إتسل على السينما في القدس حيث جرى تخطيط متعدد المراحل لتحقيق أكبر عدد ممكن من الخسائر البشرية بواسطة المتفجرات التي تم تسريبها إلى المبنى، إضافة إلى إلقاء القنابل داخله ثم فتح نيران الرشاشات على رواد السينما الذين خرجوا في حالة من الذعر والخوف.

وبعد حادثة السينما في القدس، أُلقيت قنبلة على حافلة مملوءة بالفلاحين قرب يافا فقتلت أربعة وجرحت الأغلبية وقد اكتشف البريطانيون فيما بعد أن تلميذة صهيونية كانت وراء العملية، فتباهت منظمة الإرعون بذلك خاصة أن التفجير قد سبب فزعا شديدا بين الفلسطينيين، وقد رأى البريطانيون في ذلك إشارة مبكرة إلى سعي الصهاينة لتحويل الأطفال إلى متطرفين. ويشير مقطع من دفتر يوميات تابع لمنظمة الإرعون على تكثف النشاط الإرهابي لهذه المنظمة خلال سنة 1939، ففي 26 جوان 1939 وعند الخامسة والنصف صباحا، أطلق رجال الإرعون النار على عربة قرب بيت شيريم، فقتلوا أربعة فلسطينيين وجرح آخر. وفي يوم 7 جويلية 1939، انفجرت قنبلة في المقهى العربي في حيفا. وأما في يوم 8

جويلية فقد أُلقيت قنبلة على محطة الإذاعة الجديدة في القدس فقتل مهندس فلسطيني. وقد كتب مراسل جريدة التايمز في جنيف معلقا على الأعمال الإرهابية لمنظمة الإرعون: "المجموعة منظمة سرية واسعة الانتشار في فلسطين وتشبه التنظيمات النازية ووظيفتها هي الاستعداد لاتخاذ الإجراءات اللازمة ضد العرب ولدى المنظمة أموال كثيرة تحت تصرفها وهدفها النهائي هو السيطرة على فلسطين في وقت ما في المستقبل واستيطانها هي وشرق الأردن".

ويمكننا ان نفهم هنا بأن الإرهاب الذي كانت تمارسه المنظمات الصهيونية في أواخر ثلاثينات القرن العشرين كان يهدف أولا إلى ترويع وتخويف الفلسطينيين والسيطرة على أرض إسرائيل التوراتية ثانيا. وفي نهاية سنة 1938 تأكدت المنظمات الصهيونية بأن البريطانيين قد أدوا وظيفتين إلى حد هذه اللحظة، فقد رسخوا حركة الاستيطان وقمعوا الثورة الفلسطينية الكبرى مما سيدفعهم إلى تكثيف الأعمال الإرهابية خلال الحرب العالمية الثانية للظفر بالدولة اليهودية، ولكن ستكون هذه الأعمال موجهة بالأساس ضد سلطات الانتداب البريطاني.

تعرّضت سوق

حيفا في جوان

1937 إلى تفجير

سيارة ملغومة

أودى بحياة 350

فلسطيني وجرح

70 آخرين



جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 52223213

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: [@tounesaf](https://www.instagram.com/tounesaf)